

البحث العلمي بين تحدي الواقع وآفاق التنمية في الجزائر

Scientific Research between the Challenge of Reality and the Prospects of Development in Algeria

دنش لبني*

جامعة محمد خيضر – بسكرة، الجزائر

l.dench@univ-biskra.dz

- تاريخ الإرسال: 2024/12/14 - تاريخ القبول: 2025/06/09 - تاريخ النشر: 2025/07/29

الملخص: تعتبر جودة البحث العلمي في الجزائر من ضمن أولويات المرحلة الراهنة بسبب المستجدات العالمية وضرورة المساهمة في التحول نحو اقتصاد معرفي قادر على النهوض بواقع القطاعات المختلفة والتي تقع المسؤولية الأولى فيها على عاتق وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التي تسعى جاهدة إلى تطوير منظومة البحث العلمي تماشياً مع التطور المجتمعي خاصة التكنولوجي منه، إلا أنها واجهت عقبات مختلفة نظراً للمتغيرات المتسارعة بالبيئة الاجتماعية بصورة عامة والبيئة الجامعية بصورة خاصة. وهو ما استوجب ضرورة إيجاد الحلول المناسبة حتى تكون الجامعة قائدة القاطرة في تحقيق التنمية.

الكلمات المفتاحية: البيئة، الأستاذ، الطالب، الجودة، التنمية.

Abstract: The quality of scientific research in Algeria is considered as one of the priorities of the current stage due to global developments, and the necessity of contributing to the transformation towards a knowledge economy capable of advancing the reality of the various sectors, in which the primary responsibility falls on the Ministry of Higher Education and Scientific Research, which strives to develop the scientific research system in line with development. However, it faced various obstacles due to the rapid changes in the social environment in general and the university environment in particular. This necessitated the need to find appropriate solutions so that the university could be the driving force behind achieving development.

Keywords: environment, teacher, student, quality, development

* المؤلف المرسل: دنش لبني

مقدمة:

لا نختلف اليوم على الدور الحقيقي الذي تؤديه الجامعة في جميع الدول العربية والغربية على حد سواء، ومدى المسؤولية الملقاة على عاتقها في نقل المعرفة النظرية والتطبيقية من أجل تكوين الطالب الباحث، والذي بدوره يسعى إلى بلورة هذه المعارف وتجسيدها في الواقع العملي من خلال مساره الأكاديمي أو المهني الذي قد يزاوله في المجتمع.

ومن ثم يمكننا أن نستشف أن لمؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي لا سيما في الجزائر مساهمة فعلية في دفع عجلة التنمية، ومنه تحقيق التطور والازدهار والرفي على جميع المستويات، لكن شرط مواجهة التحديات العالمية الجديدة، ومنه يفترض توفير البيئة المناسبة للقيام بالأبحاث العلمية وتجاوز العديد من العراقيل التي يعاني منها الباحث لضمان الفعالية والوصول إلى مستوى الجودة.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الورقة البحثية التي نعالج من خلالها الإشكالية التالية:

كيف يمكن للبحث العلمي أن يكون أداة هامة في يد الباحث للنهوض بالمجتمع الجزائري إلى مصاف الدول المتقدمة، وتحقيق تنمية شاملة رغم تأثير البيئة عليه واقعا؟

وسنجيب عن هذه الإشكالية ضمن محورين اثنين هما:

1- تأثير البيئة الداخلية على البحث العلمي.

2- تأثير البيئة الخارجية على البحث العلمي.

1- تأثير البيئة الداخلية على البحث العلمي

تعتبر الجامعة المحرك الأساسي للبحث العلمي عن طريق خلق المعرفة ونشرها، مما يساهم في الإبداع العلمي، ولكن هذا لا يتم إلا في إطار توفير بيئة مناسبة وتخطيط محكم لبناء قاعدة سليمة، لذا سنتناول من خلال هذا المحور: تأثير البيئة الداخلية للبحث العلمي بالتطرق إلى استراتيجية الأداء الجامعي (أولا)، واستراتيجية البحث العلمي (ثانيا) على النحو التالي:

1.1- استراتيجية الأداء الجامعي

يمثل البحث العلمي أحد أهم الأدوات المعرفية التي تستند إليها الدول لتحقيق التقدم والازدهار؛ الأمر الذي يجعلها تبذل مجهودات كبيرة من أجل تحفيز بيئة البحث العلمي ودفع الباحثين للابتكار والإبداع، وتحاول هذه الدول أن تخلق بيئة تنافسية جديدة تسير فيها الأطر الحديثة وتبني أسس علمية تحقق من

خلالها التنمية المستدامة. لذلك يمكننا أن نعرف التخطيط الجامعي بأنه: " مرحلة التفكير التي تسبق عملية اتخاذ القرارات اتجاها باختيار مجموعة من الأهداف الواجب تحقيقها والعناصر الواجب استخدامها مادية كانت كالأموال والقاعات والعدد وغيرها أو بشرية كالمدرسين والموظفين والعمداء وغيرهم، وكذلك القرارات التي تواجه سير عمل الجامعة والإجراءات التفصيلية التي تتبع لتنفيذ الأعمال مع وضع البرامج الزمنية اللازمة لها ¹ ، وعليه يمكن الحديث عن استراتيجية الأداء الجامعي من خلال مناقشة تقييم أداء الأستاذ الجامعي، وكذلك تقييم أداء الطالب الجامعي، انطلاقا من المكانة الهامة لكل منهما على النحو التالي:

أولا: تقييم أداء الأستاذ الجامعي

إن ممارسة أعضاء الهيئة التدريسية لمهامهم في الجامعة يعتبر من الموضوعات ذات الأولوية لما لها من أثر على نجاح العملية التعليمية، لأن الأمر لا يتوقف فقط على جودة البرامج والمناهج التعليمية بقدر ما يتعلق الأمر بمدى كفاءة الأساتذة وجودة أدائهم بما يتماشى مع نواحي التنمية وفق اختصاص كل منهم، لذلك نؤكد على ضرورة العمل على فتح مجالات التأهيل الأكاديمي، وتمكينهم من طرق وتقنيات التدريس المتجددة. ولتحقيق ذلك نرى أنه من الواجب توافر مجموعة من المقومات أو السمات لدى عضو هيئة التدريس، لكن قبل ذلك يجب أن نعرف من هو الأستاذ الجامعي وما هو الدور الذي يلعبه على مستوى مؤسسات التعليم العالي، وكيف لنا أن نقوم بتقييم هذا الدور لذا سنتناول:

أ/ من هو الأستاذ الجامعي؟

الأستاذ (الجمع: أستاذون و أساتيد و أساتذة) أو بروفييسور هو لقب يطلق على الأستاذ الجامعي المختص في علم ما، وهو أعلى مرتبة علمية في الجامعة.

والأستاذ كلمة فارسية، ومعربة معناها العالم والمعلم البارع في كل صنعة، ويعرف (براون BRAWAN) الأستاذ الجامعي بأنه: " مختص يستجيب لطلب اجتماعي ويتحكم في عدد لا بأس به من المعرفة والمعرفة العلمية، وهو عامل حربي في اختياراته البيداغوجية مع الحرص على جعل حرية المبادرة والاستقلالية توافق منفعة المستخدمين، كما ينظر (أ. توران A. TOORAINE) للأستاذ الجامعي على أنه: " خبير إذا اتجه إلى الخارج وباحث إذا اتجه إلى داخل الجامعة²

¹ هاشم فوزي دباس العبادي، يوسف حبيب الطائي، أفنان عبد علي الأسدي، إدارة التعليم الجامعي (كمفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر).

مؤسسة الوارق، الطبعة الأولى، عمان، 2008، ص110

² ونوقي عبد القادر، مزارة عيسى، (دور الأستاذ الجامعي في خدمة المجتمع). ص03. جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله، مخبر الأسرة، التنمية، الوقاية من الانحراف والإجرام، الأسرة والمجتمع مجلة دولية محكمة فصلية تصدر بثلاث لغات جانفي 2017، العدد 10. نقلا عن: asjp.cerist.dz

ب/ تقييم أداء الأستاذ الجامعي

يتفق الباحثون أن هناك ثلاث مهام أو وظائف أساسية يؤديها الأستاذ الجامعي، وأطلقوا عليها: "النتاج المثلث للأكاديمي" وهي: اثراء المعرفة وتنميتها (البحث العلمي)، نقل المعرفة والمحافظة عليها (التدريس)، الاستفادة من المعرفة (تنمية المجتمع وتطويره)³.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن مهمة اختيار عضو هيئة التدريس في الجامعة من المهام الأساسية التي يجب أن نوليها عناية فائقة نظرا للمسؤولية التي يتحملها الأستاذ الجامعي في توجيه المسار العلمي والأكاديمي مما ينعكس على استثمار حقيقي لقدرات الطالب الجامعي، وهذا ما يحقق التنمية.

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن تقييم أداء الأستاذ الجامعي هو إحدى الركائز الأساسية التي لها أثر كبير على مدى تطور العملية التعليمية، والدليل على ذلك هو سعي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وحثها على أهمية وضرورة استخدام وسائل حديثة للتقييم من أجل ضمان تحسين الأداء التدريس، ومن ثم جودته. وما يلاحظ واقعا هو نقص المعالجة الموضوعية لعمليات التقييم، وكذا للأسف ضعف الأداء التدريسي لبعض أعضاء هيئة التدريس حسب ما أشارت إليه بعض الدراسات، بالإضافة إلى ذلك فالجامعة الجزائرية تركز على النشاطات البيداغوجية أكثر من التركيز على عملية التدريس في حد ذاتها.

لذا نرى أنه من الضروري كباحثين التوجه نحو الاهتمام أكثر لمعرفة تفاصيل تقييم وتقييم الأداء الأكاديمي للأستاذ الجامعي حتى يتسنى لنا الوقوف على نقاط القوة والضعف، مما يسهم في تطوير قدرته العلمية والمهنية، وفي هذا المجال يمكننا الاستفادة من النظريات المتعلقة بالأداء الإنساني وفق معايير الجودة الشاملة، ومنه لا بد من ضرورة إيجاد نظام فعال أولا لتقييم أداء عضو هيئة التدريس.

ثانيا: تقييم أداء الطالب الجامعي

يعتبر الطالب من العناصر المهمة في العملية التعليمية، ولكن السؤال الذي يمكن طرحه في هذا الصدد هو: هل تم تأهيل الطالب في مراحل سابقة ما قبل التحاقه بمؤسسات التعليم العالي من جميع الجوانب؟ حتى تكون له القدرة على استقبال كم آخر من المعارف العلمية، وبالتالي يكون الطالب على استعداد لمواجهة المجتمع وقادر على الابتكار، ولكن قبل ذلك يجب أن نعرف من هو الطالب الجامعي، وما هو الدور الذي يلعبه على مستوى مؤسسات التعليم العالي، وكيف لنا أن نقوم بتقييم هذا الدور لذا سنتناول:

³ سلامي دلال، إيمان عزي، (تكوين الأستاذ الجامعي الواقع والآفاق). ص152. جامعة الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، دورية دولية أكاديمية محكمة، العدد 03، ديسمبر 2013، نقلا عن: asjp.cerist.dz

أ/ من هو الطالب الجامعي؟

يطلق لفظ الطالب في التشريع الجزائري على كل من التحق بمؤسسة من مؤسسات التعليم العالي (جامعات، معاهد، مدارس عليا).⁴

كما تم تعريفه: "الطالب الجامعي هو شخص يتلقى دروسا ومحاضرات في الجامعة أو أحد فروعها أو مؤسسة تعليمية مكافئة لها في الغالب يكون هذا الشخص قد انتهى من الدراسة في أطوار سابقة يكون مستواها التعليمي أدنى من المستوى الجامعي، ويسعى الطالب في الحصول على إحدى الشهادات الجامعية مثل: الليسانس، الماستر، الدكتوراه ... إلخ.⁵

ب/ تقييم أداء الطالب الجامعي

نرى أن من أهم المؤشرات التي يمكن أن نستدل بها لإبراز جودة التعليم العالي والبحث العلمي هو أحد مخرجاته وهي جودة أداء الطالب الجامعي الذي يعتبر محور أساسي في العملية التعليمية، وعليه وحسب ما أشارت إليه معظم الدراسات أنه لا بد من توافر مجموعة من المبادئ التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار حتى يصبح الطالب الجامعي قادرا على التفاعل أكثر مع البيئة التعليمية، ومن بين أهم هذه المبادئ: التركيز على الحوار والتفاعل الصفي، وتوفير الإمكانيات المادية والمعنوية المناسبة.

من خلال ما سبق يمكننا القول أن عملية تقييم أداء الطالب الجامعي هي عملية بالغة الأهمية، وعلى هذا الأساس يكون لازما على أي منظومة تعليمية متابعة مختلف مراحل تكوين الطالب الجامعي، ومنه نصل إلى مستوى من التكوين النوعي في التحصيل العلمي، وليس التكوين العددي كما هو الحال في الواقع العملي اليوم للأسف، وبالتالي يعكس التقييم إذا تم وفق شروط موضوعية المستوى الحقيقي للطالب. ونؤكد على مستوى هذه النقطة أن دور الجامعة لا يقف عند حدود التكوين النظري للطالب بل لا بد من التركيز على تكوين شخصية علمية من شأنها التأثير على المجتمع والعمل، ومنه دفع عجلة التنمية.

⁴ بسمينة خذنة، (البحث العلمي في الجامعة الجزائرية من خلال مذكرات تخرج طلبة الماجستير في العلوم الإنسانية والاجتماعية دراسة ميدانية ببعض جامعات الشرق الجزائري). أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع تخصص إدارة الموارد البشرية، جامعة محمد دباغيني سطيف2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، 2017/2018، نوقشت يوم: 26 جوان 2018، ص55

⁵ نعيمة مززرة، شعباني مليكة، (واقع الطالب الجامعي الجزائري، من الأمل إلى اليوم ماذا تحقق؟ قراءة تحليلية لوضعه الراهن). الوقاية والأرغوميا، مجلة نفسية اجتماعية، صحية، محكمة، عدد خاص بفعاليات الملئقى الوطني حول: تشخيص واقع الطالب الجامعي، يومي 09-10 نوفمبر 2016، بقاعة المحاضرات الكبرى، مخبر الوقاية والأرغوميا، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، العدد 6، 2016، دار الخلدونية، ص63

2.1- استراتيجية البحث العلمي

يعتبر البحث العلمي أحد المعايير الأساسية التي يقاس بها مدى تقدم وتطور الدول ومدى انعكاسه الإيجابي من خلال الاكتشافات العلمية والابتكارات والاختراعات التي يستفاد منها واقعيًا، وعليه سنتناول المعايير الواجب توافرها في جودة البحث العلمي وكذا تقييمها على النحو التالي:

أولاً: معايير جودة البحث العلمي

لضمان جودة البحث العلمي هناك مجموعة من المؤشرات نراها أكثر من ضرورة حتى يحقق البحث العلمي أثره بشكل إيجابي على حياة الأفراد والمجتمعات، وفي هذا الإطار نرى أن أول معيار هو خلق بيئة تحفيزية للبحث العلمي بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس، وكذلك الطالب؛ حتى تكون دافعا معنويا لكلا منهما لتقديم الأفضل، ويمكن أن نضيف في هذا الصدد أن تعمل الجامعة على تنظيم خرجات ميدانية داخل الوطن وخارجه من أجل الاستفادة من تجارب الغير في مجال التدريس و إعداد البحوث العلمية، ولقد اقترح الباحثين من خلال دراساتهم عدة طرق لتطوير البحث العلمي الجامعي منها:⁶ تطبيق وتقويم نتائج البحوث وإحداث استراتيجيات عالمية للتعاون العلمي وذلك بإقامة شبكة العلاقات بين الباحثين، كما يجب ربط البحث الجامعي بكل القطاعات التنموية حتى نستطيع تمويل بحثها الجامعي، والاطلاع بأهم المستجدات العالمية.

وبهذا يمكن للجامعة على بلوغ غايتها بثلاثة أنواع من الأنشطة يكمل بعضها البعض:⁷ اعداد قيادات المجتمع، واجراء البحوث العلمية، وخدمة محيطها الاجتماعي والاقتصادي وإنشاء شراكة حقيقية بين مؤسسات القطاع الخاص والعام.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن الحاجة إلى جودة البحوث العلمية أمرا ضروريا، لأن قوة الدولة تكمن في ذلك، وهذا لا يتحقق إلا اذا تم تبني المعايير السابق ذكرها، ومنه العمل الدائم على تشجيع تطوير ثقافة البحث في مؤسسات التعليم العالي من خلال التشجيع على وضع سياسات واستراتيجيات على المستوى الوطني نراعي فيه خصوصية الواقع الاجتماعي الجزائري.

⁶ بن عودة نصر الدين، مقدار علي، معوقات البحث العلمي الجامعي في الجزائر. الحكمة للدراسات الفلسفية، مجلة دورية مستقلة محكمة متخصصة، العدد 11، السداسي الأول (جانفي جوان) 2018، مؤسسة كنوز للحكمة، الجزائر، ص11. نقلا عن: Asjp.ceriste.dz

⁷ عبد القادر شارف، لعلا رمضان، واقع أنشطة-البحث العلمي والتطوير في البيئة العربية حالة الجزائر. التكامل الاقتصادي، العدد 10، جوان 2016، مجلة علمية محكمة متخصصة في العلوم الاقتصادية والإدارية تصدر عن مخبر التكامل الاقتصادي الجزائري الإفريقي، جامعة أحمد دراية أدرار، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ص127

ثانيا: معايير تقييم البحث العلمي

وفي هذا الصدد، من المهم أن نشير إلى أهمية تنمية القيم الإنسانية وتزويد المؤسسات بالمختصين والفنيين والخبراء في كافة المجالات، وإعداد الإنسان للألفية الثالثة، مزودا بأصول المعرفة وطرق البحث.⁸ ولقد عرفت منظومة البحث العلمي في الجزائر تطورا ملحوظا خلال السنوات الأخيرة بعد إصدار القوانين والبرامج الجديدة أين ارتفع عدد مؤسسات البحث العلمي وهياكلها، عدد الطلبة والأساتذة الباحثين، المخصصات المالية وحجم الإنتاج العلمي، وهذا ما نشير إليه من خلال النقاط التالية:

أ/ براءات الاختراع والإنتاج العلمي كمؤشر لتقييم البحث العلمي

يعد مؤشر براءة الاختراع أحد المؤشرات المهمة في التنمية الاقتصادية للدول، ونجد أن الحفاظ على هذا الابتكار وتطويره هو أساس التنمية المستدامة، ونضيف هنا أن براءة الاختراع هي إحدى المعايير الأساسية التي نستند إليها لقياس الإنتاج العلمي ونسبة الاستفادة من نتائج الأبحاث العلمية وتحويلها في الواقع العملي إلى نتائج تقنية يمكن تفعيلها في مختلف القطاعات؛ وعليه نجد أن حجم وعدد براءات الاختراع دليل على الابتكار وعلى تقييم البحث العلمي في فترة زمنية.

وعليه نضمن تحسن نوعية الحياة البشرية باستمرار. وتساعد براءة الاختراع في الترقية الأكاديمية لعضو هيئة التدريس وزيادة تواصل المخترع مع قطاع الصناعة. ومدى تحكمه في التكنولوجيا، ومنه تعزيز قدرة المؤسسات البحثية.

ب/ الانفاق على برامج البحث العلمي

تحاول العديد من الدول الاهتمام بالبحث العلمي لاسيما من حيث توفير مصادر تمويله، ويرتبط هذا بمستوى التنمية الاقتصادية والسياسية والمالية المتبعة. والدولة الجزائرية على غرار هذه الدول تسعى جاهدة إلى توفير غلاف مالي معتبر في ميزانياتها السنوية تخصصه للبحث العلمي، والملاحظ أنها كانت حريصة على هذه المسألة على الرغم من الظروف التي مرت بها البلاد سياسيا، ورغم كل المؤثرات الداخلية وحتى العالمية.

وفي هذا السياق نؤكد على الأهمية البالغة لتمويل البحث العلمي الذي يسهم في تطوير الابتكار التقني والعلمي، وكذلك التنويع في مصادر التمويل، لأن نقص التمويل يعد أحد أهم الصعوبات التي تواجه

⁸ محمد بكر نوفل، فريال محمد أبو عواد، التفكير والبحث العلمي. دار المسيرة، الطبعة الأولى، عمان، 2010، ص188

الباحثين في انجاز وتنفيذ البرامج البحثية، لذلك نرى ضرورة وجود استراتيجية واضحة لتحديد مصادر التمويل لا سيما بين القطاعين العام والخاص.

ج/ الإنتاج العلمي

يعتبر الإنتاج العلمي أرقى مرحلة يمكن أن يصل إليها البحث العلمي لذلك يتم الاعتماد عليه كمؤشر لقياس وتقييم مدى تطور البحث العلمي والمؤسسات البحثية، اكتسب النشر العلمي أهمية خاصة في الآونة الأخيرة وخاصة الدولي منه حيث أصبح ركيزة أساسية وعامل مهم في تصنيف الجامعات عالميا لأنه يساعد على إعطاء صورة على مدى تطور البحث العلمي، لذا يجب على الباحثين والمؤسسات البحثية نشر نتائج أبحاثهم.

ومن هذا المنطلق نجد أن الجامعات تسعى دائما لتوفير البيئة العلمية المناسبة من أجل تطوير البحث العلمي، ومنها الجامعات الجزائرية التي أدركت أهمية البحث العلمي وقدرته على مواجهة المشكلات الإنسانية، وعليه لابد من تقديم العناية اللازمة لمختلف معايير تقييم البحث العلمي.

2-تأثير البيئة الخارجية على البحث العلمي

يعد البحث العلمي من أهم الركائز التي تعتمد عليها المجتمعات في حل المشكلات والأزمات بوضع الخطط والاستراتيجيات المناسبة لذلك، وعلى الرغم من الاهتمام التي توليه العديد من الدول له ومن بينها الجزائر إلا أن البحث العلمي مازال يعاني العديد من التحديات والعقبات التي تمنعه من تحقيق التقدم والازدهار لا سيما في عالم يشهد العديد من المتغيرات خاصة الدولية منها.

لذلك ارتأينا أن نبحث في أهم التحديات العالمية للبحث العلمي (أولا)، ثم مناقشة أهم جهود الدولة الجزائرية من أجل تطوير البحث العلمي وانعكاساته على التنمية (ثانيا) على النحو التالي:

1.2-التحديات التي تواجه البحث العلمي

لقد تشابكت عوامل مختلفة دفعت بالعالم العربي إلى دخوله تحدي أمام العولمة، حيث نجد أن جميع الدول تسارعت إلى المبادرة بتعديل نظمها بما يتلاءم والمتغيرات العالمية الجديدة لاسيما نظام التعليم العالي والبحث العلمي. وهذا ما سنوضحه ضمن النقاط التالية:

أولاً: تحديات العولمة، المنافسة والشراكة المجتمعية بين الجامعة والمجتمع

يواجه التعليم العالي في الدول العربية تحديات كبيرة تتمثل في تحدي العولمة والمنافسة العالمية، حيث أدت العولمة إلى تغيير مسار حركة التعليم العالي نتيجة للشروط الجديدة التي فرضتها على كل الدول.

مما يتطلب من الجامعة التوجه للبحث عن طرق جديدة لأداء وظائفها خدمة للمجتمع، والخروج من دائرة النمط التقليدي إلى استحداث أنماط جديدة، ومنه يصل أثر خدماتها إلى محيطها الخارجي على مختلف القطاعات حيث تضيف معارف وخبرات متجددة وتشكل في الوقت ذاته شريكا فعالا في المجتمع.

لذلك لا بد أن نشير هنا إلى مستوى درجة الوعي التي يجب أن يتحلى بها كلا من الباحثين والمؤسسات البحثية بهذه التحديات، والعمل على تحقيق التوازن بين الاستفادة من فرص العولمة من جهة، ومن جهة أخرى الحفاظ على الاستقلالية البحثية، والتركيز على القضايا المحلية.

ثانياً: أزمة البحث العلمي والعراقيل المؤدية لها

يقاس دور الجامعة القيادي وسمعتها العلمية بمستوى الأبحاث التي تنتشرها، والملاحظة الميدانية للواقع تكشف لنا عن قضية في غاية الأهمية، وهي وجود صعوبات وعوائق كثيرة تعترض طريق الباحثين ومسيرتهم في البحث العلمي وتحول دون إنجاز بحوثهم الكيفية المناسبة.

نرى أن واقع البحث العلمي في الجامعة الجزائرية يبرز لنا أن أغلب الأبحاث المنجزة لا تخضع إلى تخطيط محكم واستراتيجية دقيقة، كما أن الباحثين رغبتهم في البحث أقل، حيث نجد أن الدافع الرئيسي لإجراء البحث العلمي هو الحصول على الشهادة بهدف التوظيف أو الترقية.

هناك اتفاق على أنه توجد أزمة للبحث العلمي بالجامعة العربية تتعدد مظاهرها وتتنوع أسبابها وتختلف الحلول المطروحة أو المقترحة بها باختلاف مواقع أصحابها الاجتماعية وانتماءاتهم الفكرية والسياسية.

وعندما نذهب لتشخيص بيت الداء (الأزمة) نجده يتضح في ثلاثة أبعاد ومؤشرات هي:

- المناخ العلمي والفكري داخل الجامعات

-وضعية الأستاذ الباحث

-مستوى الأبحاث العلمية المنجزة

وعليه لابد من تفعيل آليات من شأنها الحد من العراقيل التي يواجهها الباحثين، حتى تؤدي الجامعة دورها الحقيقي في تطور العلوم، ومعالجة القضايا المجتمعية. وهكذا تكون هناك مساهمة فعلية وإيجابية تؤثر على تطور ورقي الفرد والمجتمع.

2.2- جهود الجزائر في تطوير البحث العلمي وأثره على التنمية

لا يتم ذلك إلا على ضوء تجسيد استراتيجية مقترحة للتطوير، وهذا ما سيتم التطرق إليه من خلال النقاط التالية:

أولاً: البناء الهيكلي لأنشطة البحث والتطوير

من أجل النهوض بواقع البحث العلمي في الدول العربية بصفة عامة، والجزائر بصفة خاصة لابد من إجراء مراجعة للاستراتيجية التي سوف نتبناها في مجال إصلاح البحث العلمي بما يخدم التنمية الاقتصادية حتى نتمكن من إعادة مكانة الجامعة الجزائرية الحقيقية.

ولعل المتطلبات الخارجية تؤخذ بعين الحسبان أكثر من غيرها لدى صانع القرار في الجزائر عند رسم أي سياسة تعليمية، فإذا كان يسعى للنهوض بقطاع يعتبر العصب الأهم في المجتمع، فعليه بالعمل على تكوين قادة سياسيين وخبراء اقتصاديين وتقنيين فنيين يشكلون مخرجات العملية التعليمية الناجحة التي تعود بالفائدة على المجتمع والفرد.⁹

ونشير هنا بالتحديد للعلاقة الموجودة بين النظام البحثي والنظام التعليمي، خصوصاً في مرحلة التعليم الجامعي التي تعتبر مكون أساسي للكوادر البشرية والكفاءات العلمية. وما يلاحظ أن الجزائر اعتمدت على مجموعة من الأدوات التشريعية والتنظيمية والمؤسسية التي ساهمت في تدعيم أنشطة البحث والتطوير.¹⁰

ولوضع قاعدة متينة لبرنامج ترقية البحث العلمي في الجزائر تم برمجة العديد من العمليات نوجزها فيما يلي:

أ- الجانب التنظيمي: من خلال: التركيز على تنشيط المجلس الوطني للبحث العلمي و إنشاء مخابر البحث العلمي، وتشجيع الوكالة الوطنية لتمكين نتائج البحث العلمي.

⁹ جنان الحاج، الجامعة الجزائرية بين السياسات المرسومة ودواعي الإصلاح. مجلة الفكر القانوني والسياسي، المجلد الخامس، العدد الثاني، 2021، ص438

¹⁰ صدرت العديد من القوانين، وقد ظهر هذا في مشروع المخطط الخماسي بدء من سنة 1998، وكذا تجسيد القانون رقم 11/98 المؤرخ في 1998/08/22 حيث ركز على الاهتمام بتوفير الوسائل والإمكانيات اللازمة لتطوير البحث العلمي والتكنولوجي وتمكين نتائجه وتكفل الدولة بدعم المشاريع المتعاسفة بهذا الجانب.

ب- الجانب المالي: من خلال: وضع آليات لتشجيع العاملين في قطاع البحث العلمي.

ج- الجانب البشري: من خلال: العمل تحسين الظروف المهنية والاجتماعية للباحثين.

بناء على ما سبق ذكره نلاحظ أنه ورغم ما نمتلكه من إمكانيات وما وفرتة الدولة لا يزال البحث العلمي يعاني من غياب رؤية متكاملة وشاملة تغطي جميع الجوانب من أجل تطويره، الأمر الذي يؤثر على النمو الاجتماعي والاقتصادي.

ثانيا: أثر جودة البحث العلمي على التنمية

إن قضية العلاقة بين البحث العلمي والتنمية، قضية عالمية تجد الاهتمام من الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، ذلك أن البحث العلمي في تقصيه للمعرفة بمناهج محددة وكشفه عن الحقائق من أجل معالجة قضايا الواقع المعاش لابد أن يتماشى مع خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدولة وإلا يصبح ترفا فكريا ومجالا عميقا لا فائدة منه، ويعد هذا من أكبر التحديات التي تواجه الاقتصاد الجزائري.¹¹

ونشير هنا أن معيار الجودة له أهمية بالغة في مساعدة المشرع حتى يتم إدخال تعديلات أساسية على نظام التعليم العالي لأنه دون وجود هذه الأسس لا يمكن للجامعة الجزائرية أن تحقق الأهداف المسطرة من منظور السياسة العامة للدولة.

ولقد أدركت المنظومة التعليمية الجزائرية حتمية تطبيق نظام ضمان الجودة في التعليم العالي، وهذا ما جعلها تبدأ في خطواتها الأولى باعتماد أدوات ووسائل على مستوى كل المؤسسات الجامعية تمثلت في هيكلة خلايا لضمان الجودة وتعيين مسؤولين لهذه الخلايا وتكوينهم من أجل إعداد مرجع للجودة والذي تجسد فعلا وقدم لأول مرة سنة 2014.¹²

ويتضمن الدليل المرجع الوطني الجديد للجودة في التعليم العالي مجمل المقاييس والمعايير المتعلقة بضمان الجودة حيث يحتوي سبعة مجالات، ومن بينها مجال البحث العلمي؛ حيث قامت اللجنة بوضع ثلاث حقول أساسية تتضمن مختلف المعايير التي تقيس مدى إدراك وتطبيق أسس البحث العلمي في المؤسسة الجامعية تتمثل هذه الحقول في:

¹¹ حفاصة نريمان، البحث العلمي والتنمية في الجزائر: أي علاقة؟ مجلة تنوير، العدد الرابع، ديسمبر 2017، ص 287

¹² منصوري هوري، بن الدين أحمد، جودة البحث العلمي لدى هيئة التدريس بالجامعات الجزائرية وفقا للدليل الوطني الجديد للجودة الداخلية في التعليم العالي -دراسة تطبيقية لجامعة أدرار-مجلة اقتصاديات المال والأعمال، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف، ميله، العدد الخامس، مارس

2018، ص 132

1. تنظيم هيكلية وتطوير البحث العلمي.

2. العلاقات والشركات في مجال البحث العلمي.

3. تثمين البحث العلمي.

وقد لوحظ مؤخرا وجود قلق متزايد بين الباحثين بشأن التمييز بين الأبحاث ذات الجودة "الجيدة" و "الرديئة" وكيفية القيام بتقييم البحوث وقد تجلّى هذا الاهتمام في عدد وكم المبادئ التوجيهية للرفع من جودة البحث العلمي والنشر الأكاديمي.¹³

ولتقوم الأبحاث العلمية بالدور الفعال المنوط به يجب الأخذ بعين الاعتبار العديد من النقاط من بينها:

• حسن اختيار مواضيع البحوث العلمية ذات الأولوية في المشروع التنموي، وتحديد المشكلات بدقة.

• تقنية جمع المعلومات، والبناء المنهجي السليم، والتأكيد على الابتكار عند كتابة البحوث، وتقادي السرقات العلمية.

وبالنظر إلى واقع البحث العلمي في البلدان العربية، نجد أن الاهتمام به أقل مما ينبغي، ولا يتناسب مع التاريخ العربي الإسلامي في مجال البحث العلمي.

ففي الوقت الحاضر تتفق المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الدول المتقدمة مبالغ ضخمة في مجال البحث العلمي باعتباره خيارا استراتيجيا لمواجهة التحديات الكبرى سواء على المستوى المحلي أو العالمي، بينما تواجه المؤسسات البحثية في الوطن العربي بشكل عام العديد من العقبات نذكر منها الأهم:¹⁴

• معوقات في علاقة بيئية بالبحث العلمي حيث هناك نقص في الوعي بأهمية البحث العلمي. وفصله البحث العلمي عن مشاكل المجتمع المحلي.

• يغلب الطابع النفعي الذاتي على حركة البحث العلمي.

¹³ عبد الله نور الدين، لعوج زواوي، معايير تقييم جودة البحث العلمي من وجهة نظر المجتمع الأكاديمي: دراسة تطبيقية. مجلة العلوم الاقتصادية، المجلد 18، العدد 1، 2023، ص3

¹⁴ لمزيد من التفاصيل أنظر: هادية العود البهلول، واقع البحث العلمي في البلدان العربية: المعوقات والمقترحات للتطوير (حالة تونس). مجلة مستقبل العلوم الاجتماعية، العدد الخامس، أبريل 2021، ص ص 52-74-80

• هناك نقص الوعي أو ربما جهل بأهمية العلوم الاجتماعية والانسانية في حل المشكلات وتحقيق الأمن المجتمعي.

• انخفاض الانفاق على البحث العلمي وغياب مساهمة القطاع الخاص في ذلك، وعدم الاستقلال المالي لهياكله، وكذا قلة تمويل المشاركين في الأبحاث العلمية.

• عدم توفر البيانات والمعلومات اللازمة للبحث العلمي.

• معوقات في علاقة الباحث، الفاعل الرئيسي في عملية البحث؛ لا سيما نقص الرغبة والاهتمام بالبحث الميداني.

• هناك غياب لثقافة العمل والبحث الجماعي، وعدم وجود بيئة علمية مريحة للبحث ومتطورة.

والجزائر كغيرها من البلدان العربية تعاني من هذه العقبات، ولكنها مدركة لأهمية البحث العلمي والتكنولوجي لسياستها المستقبلية حاليا هذا العامل الذي جعلت منه المحرك الأساسي لكل القطاعات والمجالات الحيوية للنهوض بالتنمية المنشودة وتحقيق النهاية المطلوبة، وهي تركيز في ذلك إحداث وتطوير المخابر العلمية ومراكز التطوير التكنولوجي، ولهذا فقد رسمت خططا تتيح مزيد من عوامل النجاح لهذه الهياكل.

على ضوء ما تقدم يمكننا التأكيد على أن العلاقة بين مدى تطور البحث العلمي وانعكاساته على التنمية بمختلف أبعادها لا سيما في الجزائر مرتبط بتحقيق مستوى عال من الجودة في إنجازه بتوفير كل الإمكانيات المناسبة وابعاد كل التأثيرات الداخلية والخارجية التي يمكن أن تحول دون تحقيق البحث العلمي لهدفه والسير في المسار الصحيح من أجل تحقيق قوة اقتصادية ومكانة اجتماعية متميزة بين الدول تنعكس إيجابا على الفرد والمجتمع. ومنه النهوض بالمجتمع الجزائري والجامعات الجزائرية إلى المراتب الأولى.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم توصلنا إلى جملة من النتائج:

1/ أهمية المعالجة الموضوعية لعمليات التقييم وشموليتها سواء تعلق الأمر بالأستاذ الجامعي أو الطالب الجامعي نظرا لتأثير كلا منهما على العملية التعليمية، ومنه على البحث العلمي.

2/ إن تصنيف الجامعة الجزائرية عالميا يتطلب التركيز على جودة البحث العلمي ومعايير تقييمه.

3/ إن الواقع العملي للجامعة الجزائرية يعكس مدى تأثير البيئة الداخلية على مخرجات البحث العلمي.

4/ إن الجامعة الجزائرية تسعى إل مواجهة التحديات العالمية من أجل تطوير البحث العلمي أي تأثير البيئة الخارجية على الرغم من العراقيل الموجودة.

5/ العلاقة بين البحث العلمي والتنمية جعل الجزائر تدرك أهمية تطبيق نظام ضمان الجودة في التعليم العالي.

وعليه نقترح ما يلي:

1/ ضرورة مراجعة السياسة التشريعية المتعلقة بجميع الجوانب المتعلقة بالبحث العلمي، ذلك أن عملية الإصلاح تتم وفق نظرة شمولية.

2/ تفعيل خلايا ضمان جودة التعليم العالي والبحث العلمي وتوعية البيئة الجامعية بمدى أهمية البحث العلمي وانعكاساته على التنمية.